خاتمة البحث

والآن . . وبعد أن انتهيت من هذه الدراسة اللغوية ، أرى تمام البحث يقتضيني أن أعقد خاتمة ، تتضمن الإجابة عن هذين السؤالين :

١ — إلى أى مدى كشفت هذه الدراسة عن الخصائص التى تحدد معالم اللهجة ، وتميزها عن غيرها من اللهجات ؟

٢ — ما مدى الصلة بين هذه الخصائص التى كشفت عنها الدراسة والخصائص التى تميزت بها بعض اللهجات العربية القديمة ، وبخاصة لهجات القبائل التى أوضح هذا البحث ، فى الباب الأول منه ، أن بطونا منها هاجرت إلى شمال أفريقية ، ثم عادت فاستقرت فى المنطقة التى درست لهجتها وما جاورها غرباً ؟

لقد كشف البحث عن خصائص صوتية ، وصرفية ، ونحوية للهجة ، أبين فيما يلى أهمها ، محاولا ربطها ، بما عرف من ظواهر مماثلة فى اللهجات العربية القديمة :

أولا : أهم الخصائص الصوتية :

١ — حافظت اللهجة على الأصوات الساكنة الثلاثة التى فقدت فى معظم اللهجات العربية الحديثة وهى : الثاء والذال والظاء .

٢ — صوت « الجيم » فى اللهجة : غارىّ ، رخو ، مجهور ، شديد التعطيش ، يشبه صوت الجيم فى سوريا ، ولبنان ، ويطلق على هذا الصوت « الجيم الشامية » .

٣ — صوت « الطاء » : أسنانى لثوى ، شديد ، مهموس ، مطبق ، مهموز ، يشبه الضاد التى ينطقها المثقفون فى مصر .

٤ — صوت « الضاد » صوت أسنانى جانبي ، رخو ، مجهور ، مطبق ، قريب من صوت « الظاء » كما ينطقه القراء فى العصر الحاضر ، وهذا الصوت من أصوات اللهجات العربية الحديثة فى المغرب ، وفى العراق ، وفى عدن . .

وإذا نظرنا إلى وصف القدماء لصوت الضاد وجدنا وجه الشبه واضحاً بين الضاد فى اللهجة ، والضاد العربية القديمة ، فهى ـ كما وصفها سيبويه[1] ـ صوت رخو ، مجهور ، مطبق ، مخرجه من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس ، ومجرى الهواء معه من الجانب الأيمن من الفم ، أو من الأيسر ، أو من كليهما . .

٥ ـــ « الياف » صوت طبقى ، شديد ، مجهور . كالجيم التى ينطقها أهل مدينة القاهرة .

٦ ـــ يتخلص البدو من تحقيق صوت الهمزة ، وقد بينت ، فى البحث ، حالات الهمزة ، من حيث حذفها دون أن يحل محلها صوت آخر ، وحذفها مع استبدال الواو أو الياء بها ، وحذفها مع إطالة الحركة قبلها ، ومعاملتها كهمزة الوصل فى اللغة العربية ، إلى غير ذلك من المواقع التى بينتها .

والتخلص من تحقيق الهمزة ظاهرة قديمة ، معروفة عن القبائل الحجازية ، أما تحقيق الهمزة ، فمروى عن قبائل تميم[2] .

ويمكن القول بأن ظاهرة التخلص من تحقيق الهمزة من الظواهر التى احتفظت بها اللهجة من لهجات القبائل الحجازية ، بعد أن تبين لنا أن معظم قبائل البدو فى إقليم ساحل مريوط ينتمون إلى بنى سليم ، من القبائل الحجازية[3] .

٧ ـــ من خصائص أصوات اللين فى اللهجة : اشمالها على ضمة مشوبة بالكسرة (أو ممالة نحو الكسرة) ، وفتحة ممالة نحو الضمة ، وفتحة ممالة نحو الكسرة ـــ إلى جانب أصوات اللين الأصلية من فتحة وضمة وكسرة ، طويلة وقصيرة ، مرققة ومفخمة .

٨ ـــ تعد إمالة الفتحة الطويلة إلى الكسرة الطويلة من الخصائص البارزة فى اللهجة ، وقد بينت أن الفتحة الطويلة (أو الألف اللينة) تمال إلى الكسرة الطويلة (أو الياء) إذا وقع قبلها أو بعدها كسرة أو ياء ، أو كانت ذات أصل يائى ولم تكن متطرفة ولم يكن الصوت الساكن السابق عليها أو التالى لها واحداً من أصوات : الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء ، الغين ، الخاء ، والواو مطلقا ، أو واحداً من الراء والكاف والياف حين تكون مفخمة .

---

(١) سيبويه : الكتاب : ج ٢ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦

(٢) المصدر نفسه : ج ٢ / ١٦٣ ، ١٦٩

(٣) راجع الباب الأول من هذا البحث : ٢٧ ـ ٣٧ .

وظاهرة الإمالة من الظواهر المعروفة فى اللهجات العربية القديمة ، وقد رويت عن قبائل تميم ومن جاورهم من سائر أهل نجد كأسد وقيس[1] .

وإذ قد تبين لنا أن بدو إقليم ساحل مريوط ينتمى معظمهم إلى بنى سليم وهم من قيس [2] ، وكانت منازلهم فى نجد ، وأن منهم من ينتمون إلى فزارة [3] وكانت فى نجد [4] أيضا — أمكن القول بأن ظاهرة الإمالة من الظواهر التى ورثتها لهجة البدو من اللهجات العربية القديمة .

٩ — من أنواع الإمالة التى تعد من خصائص اللهجة : إمالة الفتحة القصيرة إلى الكسرة القصيرة قبل هاء التأنيث فى حالة الوقف ما لم يكن الصوت الساكن السابق عليها واحداً من أصوات الاستعلاء أو أصوات الحلق ، أو الراء والكاف غير المسبوقتين بكسرة ، أو أى صوت لحقه التفخيم بسبب مجاورته لواحد مما سبق .

وإمالة ماقبل هاء التأنيث من الظواهر المروية عن اللهجات العربية القديمة ، فقد روى سيبويه أنه سمع العرب يقولون : ضربتُ ضَرْبِه ، وأخذتُ أخذه [5] .

وروى أبو عمرو الدانى أن إمالة ما قبل هاء التأنيث لغة للعرب مشهورة[6] ، وهذه الظاهرة معروفة عن الكسائى فى فن القراءات ، كما رويت عن حمزة أيضا [7] .

١٠ — تؤثر اللهجة صوت الكسرة على صوت الضمة ، فتميل فيها الضمة القصيرة إلى الكسرة القصيرة إمالة خفيفة ، إذا كانت — فى الأصل — جزءا من مقطع مغلق ، وكان الصوت الساكن السابق عليها أو التالى لها واحدا من أصوات الاستعلاء ، أو الكاف والراء المفخمين أو أصوات الحلق . .

وتحل الضمة محل الكسرة فى أمثلة كثيرة .

---

(١) الأشمونى : حاشية الصبان على الأشمونى جـ ٤ / ١٦٤

(٢) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : ٢٩٤

(٣) راجع الباب الأول من هذا البحث .

(٤) القلقشندى : نهاية الأرب : ٣٩٢

(٥) الكتاب : جـ ٢ / ٢٧٠

(٦) الموضح : ورقة ٦٦ ، ٦٧

(٧) ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر : جـ ٢ / ٨٤

وإيثار الكسر على الضم من الظواهر التى رويت عن قبائل بنى سليم، حيث يقولون مِنذ فى مُنذ ، فهو من الظواهر التى احتفظت بها اللهجة أيضا .

١١ ـ تحل الضمة محل الفتحة إذا وقعت قبل صوت الواو ، وكان صوت اللين التالى للواو فتحة طويلة .

١٢ ـ من أهم خصائص اللهجة فى التركيب المقطعى اشتمالها على مقطع فى بدء الكلمة سميته «المقطع القصير المغلق» حيث تبدأ كلمات وصيغ ، فى ظروف لغوية خاصة، بهذا المقطع الذى يتألف من صوت ساكن لا يليه صوت لين .

وهذا المقطع لا يوجد بين مقاطع اللغة العربية ، ويوجد فى اللغة الآرامية ، والسريانية ، وفى العبرية .

١٣ ـــ وللهجة نظامها الخاص فى النبر ، وهو مفصل فى موضعه من هذا البحث .

ثانيا : أهم الخصائص الصرفية :

١ ـ الاسم الثلاثى الصحيح العين تحرك عينه الساكنة ، فى حالة إسكان لامه ، بحركة قد تكون كسرة ، أو فتحة ، أو ضمة ، حسب طبيعة عين الكلمة أو لامها ، ووفق عامل الانسجام بين أصوات اللين ، على مابينت فى البحث .

ويبدو أن هذه الظاهرة كانت معروفة فى اللهجات العربية القديمة، وأن الغرض من تحريك العين كان التخلص من التقاء الساكنين ، عين الكلمة ولامها ـ فى حالة الوقف ـ كما يدل قول سيبويه « هذا باب الساكن الذى يكون قبل آخر الحروف فيحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين ، وذلك قول بعض العرب : هذا بُكر ومن بِكر (١) » وقد سمى النحاة هذه الظاهرة « الوقف بالنقل » ولكنهم اختلفوا فى نقل الفتحة . . ووقفوا عند أمثلة رويت عن العرب فيها تحريك العين وليس فيها نقل ، مثل : هذا عِدل ، ورأيت العِكم بكسرتين ، وفى البُسر ، ورأيت الجُحر بضمتين (٢) ، وحاولوا تعليل تحريكها بغير الحركة المنقولة ..

---

(١) سيبويه : الكتاب : جـ ٢ / ٢٨٣

(٢) المصدر السابق : ٢ / ٢٨٤

فحقيقة هذه الظاهرة ـ فيما يبدو ـ تحريك عين الاسم الثلاثى الصحيح العين (١) للتخلص مما يشبه التقاء الساكنين فى حالة الوقف . ولكن النحويين لم يستقرئوا هذه الظاهرة استقراء تاما ، وضلوا السبيل فى شرحها (٢) ..

وقد رويت هذه الظاهرة عن تميم (٣) .

فهل يدل وجود ظاهرة تحريك العين فى الاسم الثلاثى الصحيح العين ، عند إسكان اللام فى لهجة إقليم ساحل مربوط الذى ينتمى معظم أهله إلى بنى سليم ، الذين كانوا يجاورون تميما فى نجد ، وهل يدل وجود الظاهرة فى لهجة نجد الحالية ، على أنها كانت شائعة فى اللهجات العربية القديمة المجاورة للهجة التميمية ؟ ربما .

٢ — فى صيغ الماضى مع المضارع خلت اللهجة من باب فَعَل يفعُل ، وحلت الكسرة فيه محل الضمة .

٣ — فى مضارع غير الثلاثى يكسر ماقبل الآخر مطلقا . ما عدا الخماسى المبدوء بالتاء فيفتح ما قبل آخره مطلقا .

٤ ـ أحرف المضارعة فى اللهجة ثلاثة فقط ، هى : النون للمتكلم والمتكلمين — ويفرق بينهما بالواو — والتاء ، والياء . وخلت اللهجة من همزة المتكلم .

٥ ـ حركة حرف المضارعة فى الفعل الثلاثى تتبع حركة عين الفعل ، كما أن حركة همزة الوصل فى فعل الأمر تتبع حركة العين أيضا . . وفى مضارع غير الثلاثى يكسر حرف المضارعة إلا فى صيغتى تَفَعَّل و تَفَاعَل حيث يسكن حرف المضارعة وفقا لقواعد البدء بالمقطع القصير المغلق ، وقد بينتها فى البحث .

---

(١) قرر سيبويه أن الوقف بالنقل لا يكون فى زيد وعون (الكتاب : ٢ / ٢٨٤)

(٢) الدكتور إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة : ١٤٧

(٣) المصدر السابق .

٦ — اسم المفعول من الأجوف لا يحدث فيه إعلال ، مثل مديون . وهذه الظاهرة عربية قديمة مروية عن تميم[1] .

٧ — اسم المفعول من المثال الواوى تكون فاؤه ياء لا واواً ، مثل مَيْجود ، وربما كانت هذه الظاهرة ناشئة من أن البدو يؤثرون الياء على الواو ، كما آثروا الكسرة على الضمة . . ولعلها متصلة بما روى عن قبيلة فزارة ، من أنهم يقولون « كسايان » بدل « كساوان » ، ويؤيد هذا الاحتمال أن « فزارة » من القبائل التى غربت فى الهجرة الكبرى إلى المغرب فى القرن الخامس الهجرى ، وإليها ينتمى بعض البدو فى إقليم ساحل مريوط ، كما بينت فى الباب الأول .

٨ — عدد الضمائر الشخصية فى اللهجة عشرة ، وهى فى اللغة العربية الفصحى اثنا عشر ، وفى اللهجات العربية الحديثة الأخرى ثمانية ، فبالنسبة للفصحى خلت اللهجة من ضميرى المثنى . وبالنسبة للهجات العربية الأخرى اشتملت اللهجة على ضميرى جمع المؤنث فى حالتى الخطاب والغيبة ، فى الضمائر المنفصلة والمتصلة ، وفى ضمائر الرفع وغيرها .

٩ — يختلف ضمير المخاطبين عنه فى اللهجات الأخرى بأن كافه مفتوحة مفخمة (كَم) ولا تفخيم فى كاف ضمير المخاطبات (كَنْ) .

١٠ — تحرك اللهجة ما قبل ضمير الغائب فى الاسم والفعل والأداة ، بحركة قد تكون كسرة وقد تكون فتحة ، وفق القواعد التى أسلفتها فى البحث ، ولا تكون هذه الحركة ضمة كما فى اللهجات الأخرى .

وظاهرة تحريك ما قبل ضمير الغائب بالضم أو بالكسر ظاهرة عربية قديمة ، كانت مقصورة على حالة الوقف عندما يسكن ضمير الغائب ، وإليها أشار سيبويه بقوله :

« هذا باب الساكن الذى تحركه فى الوقف إذا كان بعده هاء المذكر الذى هو علامة الإضمار ليكون

---

(١) ابن جنى : الخصائص : ١ / ٢٦٠

أبين لها (١) » ، وبين سيبويه أن هذه الحركة التى يحرك بها ما قبل ضمير الغائب ضمة ، ومثل لها بقوله : ضَرَبَتُهْ ، واضِربُهْ ، ومنهُ وعَنهُ ، وهى عند بعض القبائل كسرة — كما رأينا فى لهجة إقليم ساحل مربوط - يقول سيبويه: « وسمعنا بعض بنى تميم من بنى عدى يقولون : قد ضرَبتِه ، وأخذتِهْ ، كسروا حيث أرادوا أن يحركوها لبيان الساكن الذى بعدها ، لا لإعراب يحدثه شىء قبلها(٢) » .

وقد علل أبو سعيد السيرافى هذا التحريك بأنه للتخلص من التقاء الساكنين(٣) ، ولإظهار صوت الهاء .

فلعل هذه الظاهرة أيضاً مما ورثته اللهجة عن اللهجات القديمة، ولكنها سلكت مسلكا خاصاً فى حركة ماقبل الضمير، فهى فتحة فى بعض المواضع ، وكسرة فى بعض، حسب طبيعة الصوت السابق على الضمير ، فهى توافق ما روى عن اللهجات القديمة فى مبدأ تحريك ما قبل ضمير الغائب ، وتوافق ما روى عن لهجة بنى عدى فى كسر ما قبل الضمير ، مالم يكن الصوت الساكن السابق عليه واحداً من أصوات حددتها فى البحث .

١١ — تستخدم اللهجة ضمائر متنوعة للإشارة إلى القريب والبعيد ، المفرد والجمع ، المذكر والمؤنث ، وتستخدم إلى جانب ذلك الضمير (ها) سابقا على المشار إليه سواء أكان مفردا ، أم جمعا .

١٢ — من أبرز خصائص اللهجة فى ضمائر الإشارة تخصيصها ضمائر إشارة الجمع المؤنث وهما فى حالة القرب : هَذين وهَذينّيه ، وفى حالة البعد : هاذينِكَّه ، على حين أن اللغة العربية الفصحى ، واللهجات العربية الحديثة الأخرى لاتميز بين جمع الذكور وجمع الإناث .

---

(١) كتاب سيبويه : جـ ٢/٢٨٦

(٢) المصدر السابق : ٢٨٧

(٣) حاشية المصدر السابق : ٢٨٧ ، وفيها يقول أبو سعيد : « إنما اختاروا تحريك ما قبل الهاء فى الوقف إذا كان ساكنا لأنهم إذا وقفوا أسكنوا الهاء وما قبلها ساكن ، فيجتمع ساكنان ، والهاء خفية ولا تبين إذا كانت ساكنة وقبلها حرف ساكن ، فحركوا ما قبلها لأن تبين الهاء ولا تخفى ، فأكثر العرب يضمون ما قبلها بإلقاء حركتها على ما قبلها . وبعض، وهم بنو عدى، لما اجتمع الساكنان فى الوقف وأرادوا أن يحركوا ما قبل الهاء لبيان الهاء حركوا بالكسر ، كما يكسر الحرف الأول لاجتماع الساكنين ، كقولك لم يقم الرجل ، وذهبت الهندات » .

١٣ ـــ تقابل الذال التى توجد فى ضمائر الإشارة المؤنث : الظاء فى ضمائر الإشارة للمذكر .

ثالثاً : أهم الخصائص النحوية :

١ ـــ المسند إليه يتقدم ـ غالبا ـ على المسند ، سواء أكانت الجملة مثبتة أم منفية أم استفهامية .

٢ ـــ تلحق الشين الجملة المنفية بما أومو ، غير أن موقعها يختلف من جملة إلى جملة، فتارة تلحق الفعل المنفى ، وتارة تلحق أحد مكملات الجملة مع وجود الفعل ، جامـدا أو مشتقا أو شبه جملة ، وقد بينت قواعد ذلك كله .

٣ ـــ الاستفهام فى اللهجة نوعان : نوع لا تستخدم فيه الأداة ، وهو الاستفهام العام ويدل عليه بنغمة الكلام ودلالة حال المتكلم ، ونوع تستخدم فيه الأداة وهو الاستفهام الخاص. وفى اللهجة أدوات كثيرة للاستفهام ، بينتها وحددت مواقعها فى الجمل .

٤ ـــ يطرد التوافق فى التذكير والتأنيث بين المسندوالمسند إليه والحالوصاحبها ،واسم الإشارة والمشار إليه ، كما يطرد التوافق فى العدد فى حالة الإفراد ، وفى حالة الجمع ، سواء أكان جمع مذكر سالما أم جمع مؤنث سالما أم جمع تكسير أم اسم جمع للعاقل . أما إذا كان الاسم الدال على الجمع اسم جمع لغير العاقل أو اسم جنس فيعامل معاملة المفرد . أما المثنى فقد خلت منه اللهجة إلا من بعض صوره ، وهى تثنية الاسم الجامد وما دل من المشتقات على وظيفة أو مكان أو آلة ، والصور التى بقيت من المثنى تكون بالياء والنون فقط . ويعامل المثنى من حيث العدد معاملة الجمع .

٥ ـــ الفعل المتقدم على المسند إليه الظاهر يشتمل ، فى اللهجة ، على واو الجمع إن كان المسند إليه جمع مذكر أو مثنى مذكراً ، وعلى نون النسوة إن كان المسند إليه جمع مؤنث أو مثنى مؤنثاً . وهى اللهجة العربية القديمة ، المعروفة بلغة « أكلونى البراغيث » ، وقد رويت عن طيء[1] أو أزد شنوءة ، وربما كانت هذه اللغة من آثار اللغة الآرامية ، كما ذكر الدكتور أنيس فريحة[2] .

٦ ـــ من خصائص اللهجة فى العدد أن أسماء العدد من أحد عشر إلى تسعة عشر أقرب إليها

---

(١) قبيلة طيء من بين القبائل التى هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى مصر (القلقشندى : نهاية الأرب ص ٣٢٦) .

(٢) اللهجات وأسلوب دراستها : ٧٨

فى لهجات سوريا ولبنان : إحداش واثناش... بلا راء فى حالة الوقف ، وتعود إليها الراء فى حالة الوصل .

وأن العدد من ثلاثة إلى عشرة يلزم صورة واحدة مع المذكر والمؤنث ، بلا تاء فى حالة الإضافة ، وبالتاء إذا أفرد عن الإضافة .

٧ ـــ من الظواهر البارزة فى اللهجة انتهاء بعض الكلمات الخالية من « أل » بحركة قصيرة تليها نون ، أعنى التنوين .

وانتهاء بعض الأسماء بحركة قد يبدو عند النظرة الأولى أنها آثار إعرابية .

وقد انتهيت من تحليل النصوص التى جمعتها لهاتين الظاهرتين ، إلى أنهما لا تدلان على آثار إعرابية .

٨ ـــ تدخل السين على الفعل المضارع للدلالة على حدوثه فى المستقبل . وهذه السين تقابل الحاء التى توجد فى اللهجات العربية الحديثة ولا توجد فى هذه اللهجة .

٩ ـــ خلت اللهجة من دخول الباء على الفعل المضارع للتعبير عن الحال أو عن العادة ، ويُدَل على ذلك بسياق الكلام .

هذه هى أهم الخصائص التى تحدد معالم اللهجة ، والتى قصدت إلى إجمالها هنا وربطها بخصائص اللهجات القديمة ، إتماما للبحث . وأرجو أن أكون قد وفقت . .